Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للظلام الصبح وليس الشفق ، والآمدى صاحب ذوق نقدى بالغ الدقة والإحساس بمواضع الجمال والقبح فى الشعر ، ولكن تجاهل النقاد القدماء والآمدى منهم لنفسية الشعراء ومشاعرهم إزاء الموقف والمناسبة فحسب ، دون مراعاة لرأيه أو نفسيته ومشاعره إزاء المناسبة ، هذا جعل بعض أحكامهم غير مطابقة للواقع ، ومن هذه الأحكام حكم الآمدى الذى لدينا على هذا الشطر من مطلع البحترى ، فقد كان على الآمدى ليكون نقده سليما أن يراعى كل جوانب الموضوع ، ولاينظر إلى القضية من زاوية واحدة ، ومن أهم جوانب الموضوع أن يراعى مناسبة القصيدة ، وأثر هذه المناسبة فى نفسية الشاعر ، فإن مناسبة القصيدة تبدو من عنوانها ، وهو هجاء أحمد بن روح الأسدى ، ونص المطلع كما فى الديوان :

هو الظلام فلا صبح ولاشفق هل يُطلقُ الليل من طرفى فأنطلق
راح ابن روح بسوء اللفظ يحشمنى والغيظ يبرق فى عينيه والحَنَقُ(٨٥)

ولايعنينا شخص المهجو ، وإنما يكفى أن نعلم أن الموضوع هجاء ، لنتوقع الغضب والسخط فى نفس الشاعر ، وهذا السخط لا يعقل أن يصوره الشاعر بهجة وضياء ، وإنما يصوره عكس ذلك ، فى أى صورة تناسب هذا العكس ، وقد صوره الشاعر فى صورة ظلام دامس طغى على الحياة فأحالها ليلا سرمديا دائما ، ومحا منها النهار محواكاملا ، فلم يعد هناك أى بصيص من ضوء ، حتى بصيص الصبح قبل أن يتضح النهار ، وخفوت الضوء فى آخر النهار مع غروب الشمس ، وهو فى كل حال لا يعنى صبحا ولا شفقا ، وإنما يعنى أن الحياة أصبحت سواداكاملا ليس فيه نهار أو ليل ، وهو ما عبر عنه بقوله (هو الظلام فلا صبح ولاشفق) ومن حق هذا المعنى أن يقال إنه أجود ما فى البيت ، لأنه الأصل المبنى عليه البيت كله ، فإن الشطر الثانى الذى أفاض الآمدى فى الإعجاب به ليس إلا تتمة لمعنى الشطر الأول ، فإن الشطر الأخير يعنى أن الظلام الدامس الذى تحدث عنه فى الشطر الأول لم يكن فى الفضاء كسائر الظلام ، وإنما تحول إلى حجاب مطبق على عينيه يحول بينهما وبين رؤية أى شئ ، فلم يعد الإشكال فى الليل نفسه ، وإنما فى إطباقه على عينيه وهذه الدرجة هى التى تميزه عن غيره فى تضرره من الليل ، فالظلام والليل بصفة عامة يخيم على كل